الفصل الثانى

وولفوويتز مهندس الحرب !

هذا الرجل مهمته توفير وتوريد الأعداء المطلوبين.. حتى يمكن ضمان استمرار الحملة ضد الإرهاب.. وتبرير هذا الإنفاق العسكرى الضخم. وهو الذى يصور العالم.. وقد سيطرت عليه الولايات المتحدة كقوة مهيمنة ومطلقة.. على حساب الأعداء والأصدقاء أيضاً. وهو الذى دعا لشن سلسلة من الحروب الوقائية الاستباقية لمنع الآخرين من السعى لدور أكبر.. إقليمياً أو عالمياً.

إنه بول وولفوويتز مهندس الحرب ضد العراق وأحد صناع خطة غزو العراق منذ أوائل التسعينيات.. فى كتاب (أبيض) للبنتاجون يحمل اسم (دليل التخطيط الدفاعى).. بما يؤكد أن تلك الحملة لا علاقة لها بأحداث ١١ سبتمبر.. ولا بأسلحة الدمار الشامل. وهذه محاولة لقراءة فكر (الأب الروحى) لغزو العراق!

ومنذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١ يبذل صقور واشنطن جهوداً مضنية وفاشلة، لمحاولة الربط بين الحرب الأمريكية ضد العراق وبين تنظيم القاعدة. وعندما تثور وتفور الأحداث

العالمية على شكل متسارع ومعقد.. فإن ظاهرها غير باطنها.. لا تبدو الأمور على السطح.. مثلما هى وراء الكواليس! فقد تأكد أن الحرب ضد العراق ليست حرباً ضد الإرهاب.. بل إنها حملة من أجل السيطرة على النفط وأموال النفط التى لا يعلم أحد عنها شيئاً منذ بدء الاحتلال.. وحتى الآن. وتلك قصة مثيرة لها خباياها وخفاياها التى لا يعلمها الكثيرون!

والمحللون والمراقبون - بل القراء الأذكياء - لا يغيب عنهم هذا التفسير والتقييم لتطورات الموقف الإقليمى والعالمى.

وهؤلاء يعلمون مدى الضغوط الهائلة التى تتعرض لها وسائل الإعلام الرئيسية فى العالم، كى تظهر الوجه المشرق للأحداث - إن كان لها وجه مشرق - !!.. ولكى تتجاهل أبعاد المستنقع الذى غاصت فيه أمريكا.. فى العراق وأفغانستان.

ولكن المدهش والمثير.. هو أن تلك الحرب قد تم التخطيط لها قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ .. وتحديداً منذ تقديم (كتاب أبيض) إلى البنتاجون بعنوان (دليل التخطيط الدفاعى) أو ما يعرف اختصاراً باسم DPG ثم جاءت أحداث سبتمبر لتوفر المبرر الملائم والفرصة الذهبية التاريخية كى يقوم المحافظون الجدد بشن حملتهم التى تم التخطيط والإعداد الجيد لها.. ضد العراق.

سبق التخطيط والترصد!

لقد جرى الإعداد والتخطيط لتلك الحملة قبل عقد كامل من أحداث سبتمبر ٢٠٠١ . والرجل الأول وراء إعداد هذا (الكتاب الأبيض) هو بول وولفوويتز نائب وزير الدفاع الأمريكى.. أو (وولفى) كما يهوى بوش أن يسميه!!.. قد يكون هذا كله معروفاً.. ولكن القليلين لا يعرفون.. من هو وولفوويتز الذى ساهم - مع عصبة الصقور المتطرفين فى واشنطن — فى صياغة خطط غزو العراق منذ سنوات. بل إن أفكار وتوجهات وولفوويتز هى التى ساهمت فى تشكيل آراء ورؤى كبار المسئولين الأمريكيين الذين يحكمون ويتحكمون فى واشنطن. وتحديداً يمكن القول بأن تأثير (وولفى) كان بارزاً وبالغاً على ديك تشينى - نائب الرئيس الأمريكى - وكولن باول وزير الخارجية - والرئيس بوش نفسه!

إن وولفى.. هو الذى قاد العالم - من خلال القوة العظمى - نحو تلك المواجهة الدموية التى لا تبدو وشيكة النهاية. ويبدو أنه فكر فى البداية.. ولم يفكر ملياً فى أعقابها وآثارها.. وكيفية انتهائها.. أو إنهائها! وخطة وولفوويتز هدفها الأول والأخير تحقيق وتأكيد سيطرة أمريكا على العالم بأسره.. لذا فإنه لا يستطيع تبرير تلك الحرب الدموية أمام الأرامل والثكالى واليتامى من أهالى وعائلات الجنود والمجندات الأمريكيات

اللواتى قُتلن فى العراق.. وليس لديه ما يقوله للعراقيين الذين أصبح حالهم أسوأ وأسود من أيام النظام البائد الذى أدى دوره بكل براعة.. حتى نهاية المسرحية المأساوية! بل إن وولفوويتز لا يستطيع تبرير استمرار نزيف دماء الجنود الأمريكيين الذين تجاوز قتلاهم ١٠٠٠ شخص منذ بدء الغزو.. ناهيك عن آلاف الجرحى.. وعشرات المنتحرين.. وآلاف المرضى النفسيين.

ويبدو أن أمراض (حروب) الخليج سوف تواصل مداهمة الجنود الأمريكيين.. مادامت تلك العقلية مستمرة فى الحكم والتحكم.

ومن الواضح أن وولفوويتز لم يخطط لمصلحة أمريكا والعالم.. فى كتابه (الأبيض) الذى قدمه للبنتاجون. هذا الكتاب يرى أن أمريكا سوف تصبح (روما الجديدة).. كقوة عالمية مهيمنة. ومن الواضح أن (وولفى) لم يضع خططاً لعودة القوات الأمريكية إلى بلادها.. على الأقل فى المستقبل المنظور.. لأن لديه خططاً أخرى.. ففى عام ١٩٨٩.. كان وولفوويتز يشغل منصب نائب وزير الدفاع فى عهد بوش الأب وكلف تشينى (الذى كان وزيراً للدفاع فى إدارة بوش الأب) كلا من وولفوويتز وكولن باول (رئيس الأركان آنذاك) بصياغة السياسة الدفاعية الجديدة لأمريكا.. التى أصبحت تعرف فيما بعد باسم (استراتيجية أمريكا الدفاعية) ثم قام تشينى - وثيق الصلة بالملف العراقى

منذ سنوات - بعرض تلك الاستراتيجية على بوش الأب.. لإقرارها ثم تنفيذها.

ووفقاً لهذه الاستراتيجية.. يتم بناء وإقامة وجود عسكرى أمريكى متقدم.. أو (قاعدة قوة)..كما يسميها باول. هذا المصطلح استغله وولفوويتز لتأويله إلى سيطرة أمريكا ليس على مناطق رئيسية وحيوية.. بل على العالم بأسره! وقد توافقت تلك الخطة مع رؤية وتفكير ديك تشينى الذى كان شديد الشك والحذر إزاء أوروبا الشرقية. وقام تشينى بعرض الاستراتيجية الدفاعية الجديدة على بوش الأب. وبعد سقوط جدار برلين فى ٩ نوفمبر ١٩٨٩.. بدأ وضع آليات تنفيذ تلك الاستراتيجية على مستوى العالم. وانزعج الكونجرس من رؤية (سام نان) العضو الديمقراطى عن ولاية جورجيا ورئيس لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ آنذاك.. حيث عرض (نان) مفهوم (فراغ التهديد).. وقال إنه قبل إقرار الكونجرس لميزانية الدفاع الأخطبوطية (آنذاك) والبالغة ٢٩٥ بليون دولار (مقابل أكثر من ٤٦٠ بليون حالياً) - يجب أن يكون هناك إعداد لضمان الموافقة على هذا الإنفاق الضخم !

وكنائب لوزير الدفاع لشئون السياسات.. قضى الرجل سنوات طويلة من عمره يدعو لمفهوم السيطرة العسكرية الأمريكية. وقد صورت الوثيقة السرية (دليل التخطيط الدفاعى) عالماً

تسيطر عليه الولايات المتحدة سيطرة مطلقة.. على حساب الأعداء والأصدقاء أيضا!! ولم تقل تلك الوثيقة إن أمريكا سوف تكون قوة.. بل أكدت أنها ستصبح القوة المطلقة المنفردة.. ودعت إلى شن سلسلة من الحروب الاستباقية أو الوقائية لمنع الدول الأخرى من السعى لدور أكبر. هذه الاستراتيجية الاستباقية أو الوقائية تقوم على عدة محاور.. منها: توسيع البناء العسكرى الأمريكى، وفرض الهيمنة المطلقة على الأعداء والأصدقاء، وممارسة التخويف والترهيب على مستوى العالم بطريقة تجعل الدبلوماسية هدفا مستحيلا!!

وها هو ذا وولفوويتز يتولى صياغة تلك الاستراتيجية، التى أزالت الدبلوماسية من قاموس السياسة الخارجية الأمريكية. وقد تم تسريب بعض محتويات الكتاب الأبيض للبنتاجون عمداً إلى بعض الصحف الأمريكية.. وحظى بانتقاد واسع.. خاصة فيما يتعلق بالدور الأمريكى على المسرح العالمى الجديد.. وقامت تلك الاستراتيجية فترة من الزمان.. عندما دخل بل كلينتون البيت الأبيض عام ١٩٩٢. وشملت الدراسة بعض التيارات الاستبدادية والشمولية.. مثل (إنشاء وحماية النظام الجديد) بما يمنع الدول الصناعية من تحدى قيادتنا.. وفى ذات الوقت إنشاء قوة عسكرية عالمية قادرة على ردع المنافسين المحتملين.. من مجرد الطموح نحو دور عالمى أو إقليمى أكبر.

وقد حاول وولفوويتز وزمرة الصقور من المحافظين الجدد الضغط على كلينتون لغزو العراق.. دون جدوى. وخلال فترة رئاسة كلينتون كرر وولفوويتز انتقاداته لقراراته المتصلة بالسياسة الخارجية فى مختلف أنحاء العالم. وفى عام ١٩٩٦ كتب (وولفى) مقالاً دعا فيه إلى شن حرب استباقية ضد العراق، قائلاً: إننا يجب ألا نظل ساكنين ونستمر فى تطبيق سياسة الاحتواء.. وننتظر حتى يمتلك طاغية كمية كبيرة من أسلحة الدمار الشامل ثم يهاجمنا.

عصبة الصقور

وبعد فشله فى الحصول على تأييد كلينتون بهجوم استباقى ضد العراق.. اتجه وولفويتز لتأسيس مركز للدراسات PNAC عام ١٩٩٧.. هذا المركز تبنى (مشروع القرن الأمريكى الجديد).. وعكس ذات الآراء والتوجهات التى وردت فى كتاب البنتاجون الأبيض DPG فيما يتعلق بالسياسة الخارجية الأمريكية.. وضم بين أعضائه: بول وولفوويتز.. وديك تشينى.. وكولن باول.. ودونالد رامسفيلد.. ووليام كريستول.. وريتشارد بيرل.. وجيمس وولسى.. ووليام بنيت.. ودان كوايل.. وجيمس بولتون.. وزلماى خليل زاد.. وخطط PNAC لتنفيذ أفكار كتاب البنتاجون الأبيض الذى صدر عام ١٩٩٢ ودعا إلى تحقيق سيطرة

أمريكية مطلقة على العالم. وأعيدت تسمية الكتاب من خلال PNAC ليحمل اسم: (إعادة بناء الدفاعات الأمريكية.. الاستراتيجية والقوات والموارد للقرن الجديد). ووفقا لهذه الصياغة الجديدة يجب أن تقوم أمريكا بالمهام التالية:

- بناء قواعد عسكرية أمريكية فى جنوب أوروبا وجنوب شرق آسيا والشرق الأوسط.

- تحديث القوات الأمريكية وتطوير المقاتلات والغواصات والأساطيل فى مختلف أنحاء العالم.

- تطوير ونشر نظام صاروخى عالمى مضاد للصواريخ.

- تطوير نظم السيطرة على الفضاء الكونى!

- زيادة الإنفاق الدفاعى من ٣ إلى ٣,٨٪ من إجمالى الناتج القومى الأمريكى. هذه الدراسة صدرت عام ٢٠٠٠ .. أى قبل أحداث سبتمبر وما تلاها من زيادة هائلة فى ميزانية الدفاع الأمريكى.. حتى تتلاءم مع استراتيجية غزو العالم كما صورها pnac . هذه الاستراتيجية تجاهلت الدبلوماسية كوسيلة لحل النزاعات.. وسعت إلى تحقيق الهيمنة المطلقة من خلال التفوق العسكرى وخلق حالة دائمة من الحروب الاستباقية ضد أى عدو حقيقى.. أو افتراضى!!.. هذه هى رؤية المهندس الأول للحرب: بول وولفوويتز.

ومع وصول بوش إلى البيت الأبيض وجد أعضاء PNAC أن هذه هى فرصتهم لوضع خطة السيطرة العالمية موضع التنفيذ.. ولم يتردد بوش فى دعوة أعضاء pnac لشغل مواقع رئيسية فى إدارته.. خاصة فى وزارة الدفاع.. وعاد اللاعبون السابقون للسيطرة على الإدارة الأمريكية.. ومنها للسيطرة على العالم!! وكلنا يعلم المناصب الرئيسية التى تولاها أعضاء PNAC.. حتى زلماى خليل زاد مبعوث أمريكا إلى افغانستان.. كلهم ساهموا فى تنفيذ استراتيجية الحرب الاستباقية.. ولا يقولون الحقيقة عندما يعلنون أن حرب العراق سببها أحداث سبتمبر ٢٠٠١.. أو أسلحة الدمار الشامل المزعومة!

الكتاب الأبيض للبنتاجون جعل العالم أكثر سواداً.. وأصبح من المستحيل تقريباً أن يعود صناع الشر عن استراتيجيتهم.. لأن هذا سوف يفقدهم مصالحهم ونفوذهم.. ناهيك عن المكانة وماء الوجه. وعلى رغم كل محاولات تزيين أو تزييف الحقيقة.. فإن استراتيجيتهم عزلت واشنطن عن حلفائها.. كما أفقدت الولايات المتحدة كل رصيد (النوايا الحسنة) الذى جاهدت لبنائه منذ الحرب العالمية الثانية.. بل إن الحرب ضد الإرهاب ساهمت فى زيادته وتأجيج صناعة الشر.. بدلاً من محاولة إطفاء جذوتها.. أو هكذا تم تصميم تلك الاستراتيجية لبلوغ ذلك

الهدف. وأصبحت حفنة قليلة من الأشخاص هى التى تحدد سياسة أمريكا ومستقبلها.. على رغم أن بناء علاقات متعددة ومتوازنة وعادلة هو الذى يحمى أمن أمريكا وليس الغزو والسيطرة والهيمنة والحرب، التى تكلف واشنطن ٢,٥ بليون دولار شهرياً فى العراق.

الجانب الآخر من حياة مهندس الحرب يبدو عندما يرحب بزائريه وأصدقائه بحرارة.. ويروى لهم فقط الجانب المشرق.. من الصورة القاتمة! وهو الذى توقع أن يستقبل العراقيون الجنود الأمريكيين بالورود والود والترحاب.. محررين للعراق! وهو ذاته الذى اقترح معاقبة الدول التى عارضت غزو العراق بعدم منحها عقود الإعمار.. وقصرها على الحلفاء والأصدقاء! بينما كانت تشن الولايات المتحدة حملة ضاربة متعددة الجهات من أجل تقليص أو الغاء ديون العراق.

وخلال سبتمبر ٢٠٠٢.. نظمت مجلة « نيويوركر» احتفالاً دعت إليها وولفوويتز.. الذى قوبل بمعارضة وعبارات نقدية حادة. وحتى نفهم عقليته يجب أن نعلم أنه يؤمن بأن هناك شراً أو شيطاناً حقيقياً فى العالم.. وأنه يقوم بمواجهة هذا الشر! إنه يرى العالم مكاناً خطيراً ويجب القيام بشىء ما لمواجهة ذلك الواقع!

ولعل نظرة سريعة على عالم (صناع الشر) تؤكد أنه أصبح أقل أمناً وأكثر خطراً.. وزادت الكراهية والأحقاد بين الشعوب.. وتباعدت المسافات.. على رغم محاولات العقلاء لبناء الجسور.. وإزالة فجوات الشر!

❑❑❑